تأثير هجرة الكفاءات العراقية على التنمية الاقتصادية

The Impact of the Iraqi Brain Drain on Economic Development

أ.د. جمال داود سلمان

Jamal.dawood@duc.edu.iq

رئيس قسم العلوم المالية والمصرفية / كلية دجلة الجامعة

تاريخ استلام البحث 2022 / 6 / 2 تاريخ قبول النشر 2022 / 8 / 8 تاريخ النشر 4 / 4 / 2023

المستخلص

ساهمت ثورة المعلومات والاتصالات والتقدم التقني غير المسبوق إلى زيادة الاهتمام بالعنصر البشري، إذ يعد من أهم الموارد التي تحقق ميزة مستدامة للاقتصاد ، في ظل بيئة التنافسية الحالية، خاصة إذا ما توفرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، وقد تناولت أدبيات التنمية الاقتصادية بمزيد من الاهتمام الدور الذي يلعبه العنصر البشري الذي يتسم بالقدرات والامكانيات والخبرات العالية المساعدة في النهوض بواقع اقتصاد البلدان بشكل عام. وقد تنامت بل ازدادت هجرة الموارد البشرية الكفؤة من بلداننا العربية إلى امريكا وكندا واستراليا وكثير من الدول الغربية حتى باتت تشكل خطر يواجه تطور المجتمعات العربية وتقدمها، وقد ازدادت هذه الهجرات في نهاية القرن الماضي ومازالت نتيجة اسباب متعددة منها متعلقة بالشأن العملي والواقع السياسي والمعاشي والثقافي ، مما جعلها تفضل العيش في البلدان المتقدمة لتوفر مقومات التطور الاجتماعي والاقتصادي والعلمي وخاصة في مجالات الطب والعلوم والتكنولوجيا ، واليوم تعاني كثير من الدول العربية من الأثار السلبية لاستمرار نزيف كفاءاتها. وهذا الامر ليس ببعيد على بلدنا لعوامل عديدة ، اذ شكل هذا النوع من الهجرة مزيدا من خسارة للكفاءات وللعمالة المتميزة ، مما جعل ذلك الامر يؤثر بشكل ملحوظ في الوصول الى التنمية الاقتصادية ، وتنامي البطالة وما يصاحبها من مشاكل تلقي بضلالها على مختلف مجالات الحياة.

الكلمات المفتاحية: *المورد البشري ، الهجرة ، هجرة العقول ، هجرة الكفاءات ، التنمية الاقتصادية.*

ABSTRACT

The revolution of information and communications as well as the extraordinary technical progress have resulted in an increasing interest in the human element. The human element is one of the most significant resources that will achieve sustainable development, providing an existing competitive environment for the economy, if conditions, on an economic, social, political, and scientific basis, are available. The contributions to economic growth have paid a considerable deal of attention to the role of the human element being characterized by abilities and expertise that lead the economy to flourish and reach the top heights

The migration of qualified people from Arab countries to America, Canada, Australia as well as many Western countries has increased. This migration threatens the development and progress of Arab societies. Those immigrants prefer to head to the advanced couturiers because the essentials of social, economic, and scientific development are available. Additionally, these countries enjoy high status in the fields of medicine, science, and technology.

Nowadays, many Arab countries suffer from the negative effects of competent individuals migrating abroad. this type of migration has led to the loss of distinguishably capable people. This loss imposes a bad impact on economic development. Unemployment is increasing with many problems in various areas of life.

Key Words: *Human Capital, Migration, Brain Drain, Skills Drain, Economic Development.*

❖ المقدمة :

اثبتت تجارب العالم المتقدم ان راس المال البشري أهم الثروات الطبيعية ، فكثير من الدول حققت خطوات متقدمة في النمو الاقتصادي بالاعتماد على تحويل الموارد البشرية الى عناصر منتجة ، وهذا الاسلوب يمثل تحدي حقيقي امام المجتمعات وخاصة العربية منها .التي لم يحظى العنصر البشري فيها بالاهتمام المطلوب ، وعلى الرغم من ان معظم هذه البلدان حرصت على إنتاج المورد البشري ولكنها لم تنجح في المحافظة عليه . وهذا ما يتضح من الهجرة المتزايدة للكفاءات العربية الى الدول المتقدمة ، حتى أصبحت ظاهرة هجرة العقول Brain Drain هاجسا مخيفا للحكومات والمنظمات على حد سواء ، حيث قدرت التقارير الدولية ان تلك الهجرة التي تكاد لا تتوقف تسبب خسائر مالية هائلة للبلدان العربية تقدر بمليارات الدولارات ولهذا تعد هذه الظاهرة من اهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاد الوطني.

❖ مشكلة البحث :

تعد هجرة العقول من اهم المشاكل التي تؤثر على تنمية المجتمعات ، ولها تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية متعددة ويمكن تحديد المشكلة بالتساؤلات التالية:

1. كيف تؤثر هجرة الكفاءات على التنمية الاقتصادية والاجتماعية .
2. ماهي العوامل الأساسية التي تؤدي إلى هجرة الكفاءات .
3. ماهي الاسباب الحقيقية التي تقف وراء عودة الكفاءات العلمية العراقية .

❖ اهداف البحث :

يمكن تحديد اهداف البحث بالنقاط التالية :

1. معرفة الاثار الاقتصادية والاجتماعية التي تنتج من هجرة الكفاءات على المجتمع العراقي.
2. التعرف على الدوافع الحقيقية التي تؤدي الى هجرة الكفاءات .
3. بيان كيفية الحد من هذه الظاهرة وتقديم المقترحات والتوصيات للحيلولة دون تفاقمها .

❖ اهمية البحث :

تنبع اهمية البحث من كون ظاهرة هجرة الكفاءات العراقية لها أثار سلبيه مدمرة اقتصاديا واجتماعيا ، تستدعي ضرورة ايجاد الحلول والمقترحات اللازمة للحد من هذه ا لظاهرة وتحديد المشاكل الرئيسية التي تواجه عودتها.

❖ فرضيات البحث :

بالنظر لتعرض الاقتصاد العراقي الى حالة من عدم الاستقرار جراء الحروب المتعددة التي تعرض لها في الاعوام (1980 -1988 الحرب العراقية – الايرانية ، وحرب الخليج 1991 ، والغزو الامريكي واحتلاله منذ عام 2003) ، مما ادى الى تنامي ظاهرة الهجرة وخاصة هجرة الكفاءات والعقول العراقية بسبب سوء الظروف الاقتصادية والامنية مما أنعكس سلبا على الأمن المجتمعي بشكل عام وعلى الجانب الاقتصادي تحديدا ، حيث يحاول البحث أثبات الفرضيات التالية :

1. هناك علاقة سلبية بين الظروف السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية وهجرة الكفاءات العراقية .
2. هناك علاقة سلبية واثار مدمرة بين هجرة الكفاءات ونمو وتطور الاقتصاد العراقي.

❖ منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج (الوصفي، التحليلي) وذلك من خلال عرض الجوانب النظرية وتحليل الاحصاءات ومحاولة ربط الظاهرة بأسبابها وابعادها ونتائجها من اجل الوصول الى استنتاجات مناسبة وتقديم مقترحات وتوصيات عملية يمكن ان تساهم في الحد من هذه الظاهرة.

❖ حدود البحث :

سيغطي البحث الفترة الزمنية 1990 – 2019 ، والتي يمكن تناولها ضمن مرحلتين المرحلة الاولى فترة ما قبل الاحتلال 1990 – 2003 ، وفترة ما بعد الاحتلال 2003 – 2019 ، والعراق يمثل الحدود المكانية .

المبحث الاول

الاطار المفاهيمي لمفهوم الهجرة ومنها هجرة العقول والكفاءات

Brain Drain and Talent

1- 1- هجرة العقول والكفاءات واسبابها

تعتبر الهجرة البشرية ظاهرة جغرافية واقتصادية قديمة لازمت الانسان منذ ظهوره على و جه الارض ، فالإنسان يهاجر للرزق وتحسين مستوى المعيشة أو سعيا وراء الأمن والحياة المستقرة ، فالأرض التي يهاجر منها " منطقة طرد سكاني " ، اما الارض التي يتجه اليها فهي " منطقة جذب سكاني " ، بفعل ما افتقده المهاجر في موطنه الاصلي .(الشفيع ، 2013 :27).

وتعرف هجرة العقول أو الأدمغة بأنها هجرة العلماء والمفكرين واصحاب الاختصاص من بلدانهم الأصلية باحثين عن بيئة ملائمة لهم اقتصاديا ومهنيا ، وعادةً ما يكون الانتقال هذا من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة ، ومما لا شك فيه ان هذا النوع من الهجرة يؤثر سلبا على البلد المرسل وخاصة في فقدانه للقوى العاملة الماهرة والكفاءات من ذوي الاختصاص ، مما يعني تعرض ذلك البلد الى خسارة كوادره التي تحتاجها منظمات الأعمال والصناعات المختلفة ، حيث ان نقص الكفاءات الموجودة من شأنه ان يلحق ضررا كبيرا على تنمية الاقتصاد الوطني وتطوره . (ال زيارة,كمال عبد حامد ، 2009 :36-35)

1-2- انواع الهجرات (مكتب العمل الدولي ، منظمة الامم المتحدة ، 1989: 29 – 28)

1. الهجرة المرتبطة بالنمو الاقتصادي ، وتشكل حوالي 60% من مجموع الهجرات ، حيث تؤكد معظم الدراسات ان اغلب الهجرات ذات طابع اقتصادي ، فالتحول من المجتمع الزراعي الى المجتمع الصناعي يدفع الى الهجرة من الريف الى المدينة أو من المجتمعات ذات الانماط الزراعية الى المجتمعات الصناعية بحثا عن مستقبل أفضل. (مكتب العمل الدولي ، منظمة الامم المتحدة ، 1989: 29 – 28)
2. الهجرة بسبب الفقر وانعدام الأمن ، وتشكل 20 – 30 % من مجموع الهجرات ، وهذا النوع يبرز نتيجة لانعدام الأمن أو بسبب الفقر الناتج عن عدم الاستقرار السياسي .
3. الهجرة المرتبطة بعولمة سوق الكفاءات ، وهذا النوع يتضمن حملة الشهادات العليا ، كالأطباء والمهندسين وحملة الدكتوراه في مختلف التخصصات ، بالإضافة الى التقنيين من ذوي الكفاءات العالية ، حيث يتوفر سوق عالمي يسهل هجرة هؤلاء الى البلدان المتقدمة التي تعمل على استقطابهم ، وبالتالي يمثلون عوامل دعم لعملية التنمية والتطور في تلك البلدان.

1-3-هجرة الكفاءات : Brain Drain

يعتبر مفهوم هجرة الكفاءات والعقول من المفاهيم الحديثة نسبيا ، وهي من أخطر انواع الهجرات على تطور المجتمع التي ازدادت في القرن العشرين وا لحادي والعشرين ، وشكلت عائقا امام تنفيذ البرامج التنموية، وهذا النوع من الهجرات يعكس نشاط سوق عالمي يطلب أهم عنصر من عناصر الإنتاج ممثلا براس المال البشري الذي يتحرك نحو البلدان أو القطاعات التي تتيح له إنتاجية أعلى ، ويتجه الى حيث يعطي أفضل ما لديه ويحصل على مردود أعلى.

والحقيقة ان ضياع الكفاءات بسبب الهجرة يبدو وكأنه هدية يقدمها البلد الفقير الى البلد الغني ، تعكس حالة من التبعية والتخلف نظرا لوجود فجوة علمية تكنولوجية بين الدول النامية والمتقدمة والتي تتسع لغياب استراتيجيات لتشجيع البحث العلمي واحتضان العلماء والاهتمام بالإنسان علمياً ومهنيا . (زعرور،1981:73)

واشارة العديد من الاحصاءات الحديثة الى ان الوطن العربي هاجر منه ما بين الربع إلى النصف من الكفاءات العربية (الى دول هي المملكة المتحدة ، اميركا، دولة كندا) التي تستقطب الحصة الأكبر من العرب التي تصل الى 75% ، اذ تقدم تسهيلات لهم لمنحهم الجنسية ، خصوصاً الأطباء والمهندسين والعلماء بنسب 50% ،23%، 15% من العلماء على التوالي من اجمالي العقول العلمية الكفؤة العربية التي تخرجت (في الأعوام القليلة الماضية.)

ونتيجة هذا الاستنزاف قدرت مجمل خسائر الدول العربية إلى أكثر من 250 مليار دولار ، مما جعل هذا الامر من أهم العوائق المؤثرة سلبا في التنمية الاقتصادية ، في الوقت الذي تعتبر الدول العربية بأمس الحاجة للتنمية من خلال هذه الكفاءات والعقول لتلبية متطلبات مختلف مجالات الحياة الحيوية بمختلف مسمياتها المعروفة. (منظمة العمل العربية ، 1989: 20– 19).

1-4-هجرة الكفاءات العراقية : Migration of Iraqi Talent

عرف ابناء العراق بعدم رغبتهم بهجرة وطنهم ، بل عرفوا بحبهم للاستقرار، وبسب هذا الاستقرار تمكنوا عبر العصور من تشييد حضارات انسانية عريقة كالحضارة البابلية والسومرية ....، ولكن نتيجة التغيرات والظروف وما مر به العراق من حروب وعدم استقرار دفع الكثير وخاصة ذوي الكفاءات العلمية الى الهجرة خارج البلد ، حتى اصبحت ظاهرة تشكل نزيفا مستمر يخسر فيه العراق افضل كفاءاته التي يمكن ان تساهم في بناء البلد وتنميته وتطوره ، حيث شهد عقد الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي بسبب الحرب العراقية – الايرانية وحرب الخليج الاولى والثانية وما رافقها من اوضاع داخلية غير مستقرة ، وما تعرض اليه العراق من عقوبات اقتصادية التي فرضتها الامم المتحدة على العراق – اثناء فترة الحصار الاقتصادي الذي دام لفترة طويلة – مما دفع الكثير من المواهب والكفاءات العراقية الى الهجرة .

وبعد عام 2003 أي بعد احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة ومن تحالف معها ، ازداد عدد اللاجئين العراقيين الى الدول المجاورة ، كسوريا والاردن ولبنان وتركيا وايران وعدد من بلدان الخليج العربي حتى اصبح العراق في عام 2006 في المرتبة الثانية على مستوى العالم بعدد اللاجئين بعد افغانستان . كما شهد العراق موجة لم تسبق لها مثيل في هجرة العقول العلمية الكفؤة بسب قلة الامن وانتشار الجريمة وازياد المظاهر الطائفية ، اذ تعرض اعداد كبيرة من اساتذة الجامعات والاطباء الى القتل، مما ادى الى هجرة اعداد هائلة منهم الى خارج البلاد حفاظا على ارواحهم، وهذا ما اثر سلبا على عمل المؤسسات الاكاديمية والصحية بشكل خاص ، كما فاقم من الأثار الاجتماعية والاقتصادية السلبية التي انعكست على المجتمع بأسره. (الجابري، ستار جبار ، 2017 : 3- 2).

1-5-اسباب الهجرة : Migration Reasons

هناك العديد من الدوافع التي دفعت وتدفع افراد المجتمع الى الهجرة ومن أهمها ما يلي :(مرسي ، محمد عبد العليم ، 1991: 179)

1. الدافع الاقتصادي : يتجلى في التباين الكبير في مستويات المعيشة بين الدول (الطاردة للكفاءات) ، والدول (المستقبلة) ، فالعراق يعتبر من البلدان المصدرة للكفاءات والعقول العلمية والبلدان المتقدمة هي المستقبلة لتلك الكفاءات ، فالأوضاع السياسية والحروب التي عانى منها البلد منذ عام 1980 ولغاية 2003 ، ادت حدوث حالة من الركود الاقتصادي ومعدلات متدنية في الناتج المحلي الاجمالي ، وخاصة أثناء فترة الحصار الاقتصادي ، مما انعكس على مستوى الدخل الفردي وتدهور في مستويات المعيشة وصعوبة في توفير المتطلبات الأساسية للحياة وارتفاع معدلات البطالة .
2. الدافع السياسي والاداري : ان البنية السياسية تشكل قوة طاردة للكفاءات باتجاه الدول الأخرى وخاصة الدول الغربية الأكثر استقرارا وديمقراطية ، فالكفاءات العلمية تفضل الاستقرار في البلدان التي تتمتع بأنظمة تكفل لهم الحرية في النشاط والتفكير واحترام الفرد وشعوره بإنسانيته باعتباره أثمن راس مال والاستثمار فيه يعتبر ارقى انواع الاستثمار.

وبعد عام 2003 استمرت الهجرة في التزايد لغياب الأمن واستهداف الكفاءات العلمية وعدم الاستقرار السياسي ، واستبعاد الكثير من الكفاءات ذات الخبرات العالية من المشاركة السياسية واتخاذ القرار، مما انعكس سلبا على كفاءة الإداء الإداري للكثير من المؤسسات ومنظمات الإعمال.

3. الدافع الاجتماعي : يتسم النظام الاجتماعي في العراق بسيادة حالة من التخلف والتعصب وانكار الراي الأخر ومحاولة تحجيمه ، كما انه نظام تسوده العشائرية والطائفية ، بالإضافة الى تغليب المصالح الشخصية ..... التي تهدد البناء الاجتماعي وكثير من العوامل الاجتماعية تعكس حالة من فقدان الأمل واليأس لدى اصحاب الكفاءات العلمية وتدفعها الى الهجرة مثل فقدان الاحترام وعدم اشغالهم المراكز اللائقة التي تناسب مكانتهم العلمية.

ناهيك عن النظرة السلبية التي يواجها الطلبة العائدين من الخارج ، بالإضافة الى وضع الصعوبات والمشاكل امامهم ، فالقوانين السيئة والمحيط الاجتماعي غير الودي شكل احباط معنوي لأصحاب الكفاءات والذي ولد شعور بالغربة الحقيقية داخل الوطن ، بالإضافة الى عدم توفر المناخ العلمي الذي كانوا يجدونه في البلدان التي تخرجوا منها كل هذه العوامل دفعت الكثير منهم الى التفكير بالهجرة ، بحيث اصبحت ظاهرة الكفاءات العراقية المهاجرة من العلامات الفريدة البارزة في العقود الماضية ، باعتبارها ظاهرة إجبارية وليست طوعية ، لكن نجد الامر يختلف في العراق الذي يتميز عن بلدان المنطقة ، لما يمتلكه موقع مهم وثروات طبيعية عديدة ،واراضي خصبة صالحة للزراعة ، وحضارة تمتد لمئات الالف من السنين. (العسكري ، 2007: 3-2)

ومن بين مسببات الهجرة التي شهدها العراق في الفترات القليلة الماضية والتي لا يمكن اعتبارها هجرة تعود للجانب الاقتصادي فحسب، وإنما كانت هناك أسباب أخرى دفعت للهجرة إلى دول تختلف في العادات والتقاليد الاجتماعية، وعليه لابد من بيان الاسباب التي دفعت ملايين الناس من بينهم الآلاف من العقول العلمية النيرة على الهجرة وترك وطنهم.

اولا: الأسباب السياسية

تعتبر الأسباب السياسية من بين هم الاسباب التي دفعت العقول العراقية الى الهجرة خارج البلد وخاصة بعد عام 2003، ومن بينها: . (ال زيارة,كمال عبد حامد ، 2009 : 39-38)

1. الإحباط الذي أصاب الفئات الأكاديمية والثقافية بشكل عام ، بسبب هيمنة عناصر لا تتمتع بالخبرة والكفاءة لتصبح مسئولة عن تسيير دفة العمل والتخطيط في المراكز العلمية حتى وصل الأمر إلى الجامعات ومراكز الأبحاث وغيرها .
2. اعتماد الدول الغربية على سياسة استيعاب العقول الكفؤة العربية ومنها العراقية، الذين هم ثروة البلاد واساس نهضتها، وكان من وراء ذلك أجندات خارجية (دولية وإقليمية) ساهمت في افراغ العراق من كفاءته وعقوله وسعت هذه الدول الى تشجيع هجرة الشباب اليها .
3. بروز مفاهيم جديدة وغريبة طارئة على المجتمع العراقي – خاصة بعد الاحتلال ساهمت الى حد كبير في تدمير اسس الدولة العراقية حيث اعتمدت أسس خاطئة قائمة على المحاصصة الحزبية والطائفية والتي حرمت الكثير من الكفاءات واصحاب الاختصاص من الوصول أو تبوء مواقع متقدمة في الدولة.

ثانيا: الجانب الاقتصادي (الجابري، ستار جبار ، 2017 : 13- 12)

يعد الجانب الاقتصادي احد الدوافع الرئيسية للهجرة من العراق من بينها :

أ. ارتفاع معدل البطالة بين الغالبية العظمى من الشباب الذين يعيشون بوضع اقتصادي مؤلم وصعب جداً، وهم يعلمون بان بلدهم من بين اغنى البلدان في المنطقة حيث الموارد الاقتصادية مثل النفط والغاز والزراعة ، الا ان حالة عدم الاستقرار والظروف الأمنية جعلت المواطنين يشعرون بالضيق وصعوبة إيجاد فرصة عمل لائقة لهم ، فضلا عن تفشي مظاهر الفساد الاداري والمالي في معظم مفاصل الدولة الذي جعل وارداتها لقمة سهلة للفاسدين أصحاب النفوذ والاميين.

ب. وجود اعتقاد لدى البعض إن هجرة الكفاءات للخارج يقوي اقتصاديات البلد الام بسبب ما يرسله المهاجرون من عملة صعبة إلى ذويهم ، وهي في الحقيقة لا تتناسب والخسارة الكبيرة التي تسببها هجرة الكفاءات و نزيف العقول والتي انعكست بأثارها السلبية على التنمية الاقتصادية ، حيث ازداد الاعتماد على ما يستورد من موارد بشرية وتقنيات من الخارج لسد النفص الحاصل عن هجرة الكفاءات الوطنية.

ثالثا: الجانب الأمني (الجابري، ستار جبار ، 2017 : 3- 2)

يعد الجانب الأمني من أهم المؤثرات التي دفعت العقول الوطنية للهجرة ، اذ شهدت الساحة العراقية حالة من عدم الأمان وخاصة بين الفئات المثقفة والعلماء والمتخصصين جراء استهدافهم، مما ولد شعورا عاليا من الخوف وعدم الاطمئنان لديهم والتفكير جديا بضرورة الهجرة بحثا عن حياة مستقرة وامنه، ومن بين هذه المؤثرات للجانب الأمني الأخرى هي:

1. اتسام عملية هجرة العقول بالتنظيم والتدبير المخطط وممول من جهات تسعى لإفراغ البلد من العقول العلمية المميزة، وعلى سبيل المثال، كفاءة الأستاذ الجامعي وإمكانياته المتميزة، دفعت كثير من الجامعات العربية الى استقطابهم والاحتفاظ بهم والاستفادة من خبراتهم في التدريس والبحث العلمي .
2. اضعاف الجانب المدني وعسكرة البلاد وسوء الادارة واستنزاف الطاقات، مما ولد شعورا لدى الكثير من الشباب بفقدان الأمل بالمستقبل واتخذوا سبيل للهجرة وخاصة الى الدول الاوربية تحت تأثير المغريات والحياة المستقرة وتوفر الامن والأمان فيها .

رابعا: الاسباب الاجتماعية (الجابري، ستار جبار ، 2017 : 4- 3)

ومن بين هذه الاسباب هي :

1. عدم اهتمام الطبقة السياسية لأهمية البحث العلمي وضعف دور وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في عدم تشجيع الابداع والابتكار للباحثين من خلال توفير ميزانية مناسبة لهذا الغرض وكذلك اغفال تلك الطبقة في الاهتمام بالقطاعات الصناعية المتنوعة في البلد ، بغية تحسين واقع الاقتصاد العراقي وتشغيل اكبر عدد من الايدي العاملة الماهرة من الخريجيين بدل الاعتماد بشكل كامل على المواد والمعدات بمختلف اصنافها ، مما

اصبح البلد أرضية خصبة وسوقاً مشجعا مستهلك كل المنتجات المصنعة من قبل الشركات في الدول الجوار ، ودول العالم بشكل عام.

2. عدم وجود خطط واعدة وسياسات قابلة للتطبيق تستوعب اعداد الخريجين مما جعل عدد ليس بالقليل يذهب من اجل العمل ولقمة العيش للتقديم في الجيش والشرطة ، وترك كل المعارف والمهارات التي تعلموها في الجامعات بتخصصاتهم المختلفة ومن ثم تفاقمت ظاهرة البطالة بين اوساطهم ، وكان هذا من الجوانب الرئيسة التي دفعتهم لترك البلد والذهاب صوب الدول المتقدمة صناعياً ، الا ان الكثير منهم انتهى بهم الحال الى العمل في مجالات ليس لها علاقة بتخصصهم، وهي بلا شك تعد انتكاسة وخسارة لطاقات شبابية كبيرة لا تعوض ، دفعت الدولة أموال كثيرة لحين حصول على الشهادة الجامعية.

1-6- اثار هجرة الكفاءات :

أما اهم الأثار التي تعكسها هجرة الكفاءات فتتمثل بالنقاط التالية: (الجابري، ستار جبار ، 2017 : 6- 5)

1. الاثار السياسية :

ترى بعض الاتجاهات الأيديولوجية أن الغرب يرى هجرة العقول من منظورها (إعادة إنتاج التخلف في العالم الثالث أو البلدان النامية). لديهم نخب في الجامعات الغربية ، يدفعون لها المليارات ، ومن ثم يوظف الغرب تلك القدرات لصالح الاقتصاد والحرب والسياسة والثقافة. وبدلاً من ذلك ، يرى الغرب أن القلائل الذين يعودون هم سفراء جيدون لطريقة الحياة الغربية في بلدانهم الأصلية.

2. الآثار الاقتصادية والاجتماعية:

تعتبر ظاهرة هجرة العلماء والمواهب والكفاءات من أهم العوامل المؤثرة في التنمية الاقتصادية والتركيبة السكانية والبنية البشرية وحصلت هذه الظاهرة على اهمية كبيرة في ظل تزايد العديد من المهاجرين واخص بالذكر الكوادر العلمية ذات الاختصاص ، ومن أبرز الآثار الجانبية لتلك الظاهرة حرمان هذه الدول الاستفادة من قدرات وخبرات هذه المواهب في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية. إذا كان لهجرة العقول تكاليفه الاجتماعية والمدنية والمؤسسية والمالية ، فإن عملية الهجرة قد ساهمت إلى حد كبير في التدمير الجزئي للثروة البشرية ، نظرًا لتأثيرها على الأجيال الحالية و في المستقبل، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى الفئات الاجتماعية الأكثر قدرة ، لأن هذا يمكن أن يجعلهم أكثر استعدادًا ، من خلال التواصل والتعليم ، للهجرة إلى الخارج ، الأمر الذي سيلحق كثيرا "من الضرر بالدول المصدرة لهذه القدرات ، أولاً في خسارة الاستثمار والتعليم ، وفي نهاية المطاف في إضعاف قيادة وحوكمة قدرة المجتمع نفسه ، وينتهي من خلال إضعاف قوة تنمية المجتمع.

المبحث الثاني

تأثير هجرة الكفاءات وانعكاساتها على الاقتصاد العراقي

The Impact of the Brain Drain and Its Implications for the Iraqi Economy

تترتب على هجرة الكفاءات العراقية العديد من النتائج والانعكاسات على عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية باعتبارها تمثل نزيف لأهم مورد من موارد التنمية وهو " العنصر البشري " ، حيث اثبت العلم ان راس المال البشري اهم الثروات الوطنية ، اذ تفوقت كثير من البلدان بسبب نجاحها في استثمار مواردها البشرية – كما أشار ميلتون فريدمان في صحيفة نيويورك تايمز ، عندما سئل عن أفضل دولة خارج وطنه ، كانت إجابته (تايوان) – بلد لا توجد به موارد طبيعية وأرض صخرية. البلد ، في وسط البحر ، مع استمرار العواصف في كل الاتجاهات ، يحتاج إلى استيراد كل شيء ، حتى الرمل والحصى ، لكنه يمتلك رابع أفضل احتياطي مالي في العالم لأنه اختار البحث في عقول ابناءه من أجل الإبداع ، وليس المعادن التي يحفر من أجلها تحت الأرض. البشر هم المصدر الوحيد للطاقة غير الناضبة والمتجددة. قال فريدمان إن تقدم أي بلد في القرن الحادي والعشرين يمكن قياسه بالمقدار الذي ينفقه في العثور على معلم ناجح وتربية الأطفال وتنشئة أشياء جديدة فيهم ، وليس بما لديه. واختتم فريدمان في مقالته بقوله " من المفيد ان يكون لدى الدولة فقط – نفط وغاز والماس ولكنها تصبح بلا جدوى ان لم تستغل ذلك بطريقة سليمة " خصوصاً أن هذه الموارد تضعف أي مجتمع .(الجابري، ستار جبار ، 2017 : 12– 11)

ومن بين الأثار الاقتصادية لهجرة العقول هو ضياع راس المال البشري وهو بذلك يمثل تبديد للطاقات المنتجة في المجتمع ، وخاصة ذات الخبرات العالية والتي تعتبر احد أهم العناصر الأساسية للتنمية الاقتصادية ، وتفاقم ظاهرة هجرة العقول العراقية الى دول العالم المختلفة ، يمثل عملية لنقل راس المال البشري الذي كان بإمكانه ان يساهم في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحويله من بلد نامي الى بلد متقدم من خلال المساهمة في اعادة بنيته التحتية المدمرة واعادة اعمارها خاصة وان العراق لديه خبرة في اعادة وتأهيل البنية التحتية التي دمرت اثناء حرب الخليج الثانية عام 1991 والتي تميزت بالسرعة في اعادة الاعمار . فالعالم اليوم قائم على الاختراعات والابتكارات والمنافسة الاقتصادية ، فقوة الدولة تأتي من خلال ما تمتلكه من قوة بشرية مؤهلة وكفؤة وذات خبرات معرفية – باعتبار ان هذه الكفاءات هي اغلى ثمنا وهي التي تتولى وضع الخطط الاستراتيجية للتنمية بالشكل الذي تحقق مردودات ذات اثر ايجابي على عملية التنمية الاقتصادية وتحقيق حالة من الرفاهية الاجتماعية .

لقد اشار تقرير منظمة العمل العربية لعام 2006 الى ان الخسائر التي تحملتها الدول العربية ومنها العراق جراء هجرة كفاءتها أكثر من 200 مليار دولار ، ويمكن القول ان هجرة الكفاءات العراقية شكلت انعكاساً سلبياً على الواقع العلمي والتكنولوجي العراقي ، نتيجة التبعية التكنولوجية وتخلف القدرات الذاتية ، وعدم امكانية القيام بالأبحاث الانتاجية والاعتماد على البحوث النظرية المستهلكة ، ناهيك عن ضعف البحث العلمي وعدم ايلاءه الأهمية المطلوبة جراء ضعف التمويل المخصص للبحث العلمي الذي لم يتجاوز في افضل الاحوال عن 0.2 % من الناتج المحلي الاجمالي .فتزايد هجرة الكفاءات واستمرارها يؤدي بالضرورة الى انخفاض الرصيد المعرفي ومن ثم الناتج

المحلي الاجمالي نتيجة لفقدان انتاجية الكفاءات التي هاجرت وتدني مجتمع الكفاءات مما يخلق ظروف معطلة لمسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية. (منظمة العمل العربية ، 2006: 15)

المبحث الثالث

الاستراتيجية المقترحة للحد من ظاهرة هجرة الكفاءات

The Proposed Strategy to Reduce the Phenomenon of Brain Drain

وبعد دراسة أسباب هجرة المثقفين العراقيين ، تم مناقشة أهمية الاستثمار في هذه العقول والمواهب ومنع هـذا النزيف المستمر للكفاءات العراقية المبدعة. فالهدف يتطلب خطة استراتيجية واقعية على المدى القصير والطويـل ، تركز على الطرق والآليات الفعالة لاستثمار قدرات العقول العراقية بشكل أفضل في الشتات ، سواء تشجيعهم علـى العودة إلى العراق أو الاستثمار عن بعد.

في الواقع ، فإن الرغبة الدائمة في التغلب على مشكلة هجرة العقول والمواهب وجوانبها السلبية دفعت إلى العديد من الحلول والاستراتيجيات والخيارات. يمكن اقتراح نموذجين رئيسيين في هذا الإطار لمعالجة مشكلة هجـرة العقـول والكفاءات العراقية الى خارج البلاد خيارين هما : (حسين ، 2013 : 47).

1. خيار العودة : Back Option

والمقصود به هو تبني الإجراءات والاستراتيجيات اللتين ستُقنعان العقول المهاجرة المبدعة في العودة إلى وطـنهم الاساس لكي يساهموا في التحديث والتطوير هناك ، وقاموا بتطبيق هذا الخيار بالفعل في الكمية الوفيرة من الاماكن في العالم ، إلا أن عدم الثبات والبيئة الاستثمارية غير الملائمة في الكثير من البلدان والمدن يجعل « خيار العودة » أمرًا عصيبًا بشكل كبيرً ، لذلك يشاهد الكثير من المُحللين أن الترويج لرجوع الكفاءات المهاجرة من الخـارج أمر غير مقنع ، وخصوصا أنه لم تبقى الوسائل الكفيلة باحتواء جميع العائدين من الخارج.

2. خيار الشتات Diaspora Option

ربما يكون هو الأفضل، والمقصود بهذا الخيار هو لإفادة المواطنين في الخارج دون الحاجة إلى نقلهـم إلـى بلدهم الأصلي ، ويستند هذا الخيار إلى التغلب على حواجز المسافة الطبيعية ودعوتهم للمساهمة في تنمية وطنهم ، بغض النظر عن الموقع. بشكل عام ، هناك عدد من الآليات التي قد تساهم في جذب القـدرات المهـاجرة ، وأهمها تطوير السياسات القائمة على الحوار ، والتي يجب قبلها التأكيد على أن أي علاج أو أي جهد يهدف إلى التغلب على الآثار السلبية لهجرة الكفاءات – سواء كان تأثيرًا سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا أو علميًا – يجب أن يبدأ بإلغاء الأسباب التي تدفع هذه المواهب إلى الهجرة خارج البلاد. هناك حاجة إلى إنشاء آلية لتشـخيص دقيق لحالة هجرة العقول وتأثيرها ، مما يسهل وضع استراتيجيات شاملة لترشيد سياسات الهجرة وتفعيـل دور الهجرة في التنمية ، وكذلك تطوير الوسائل والتوصيات الفعالة. في هذا الصدد ، مثل فتح خطوط الاتصال مـع المهاجرين ، والسعي إلى مساعدتهم في التدريس الجامعي ، وتعزيز مشاركتهم ؛ من ناحية أخرى ، هناك حاجة إلى زيادة الميزانية السنوية للبحث العلمي وتطوير البرامج وفتح مراكـز البحـث العلمـي لتشـجيع التفكيـر

المهاجرعلى العودة وتوسيع إطار المشاركة السياسية من خلال تجربة ديمقراطية حقيقية ، وتعزيز التعليم والبحث ، وما إلى ذلك من خلال استراتيجية التنمية الوطنية الشاملة (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية) التي تدعم المشاركة ، و تشجع المهاجرين على العودة إلى بلدانهم الأصلية. (حسين،47,2013)

وفي الحقيقة ان خسارة الكفاءات المهاجرة هي خسارة يصعب تعويضها ، وان مسؤولية الجميع معالجة هذا النزيف ، فنزيف الكفاءات العراقية يزداد ويتعاظم حتى اصبح يشكل ارتباكاً واضحا لجميع المعنيين ، عليه لابد من تقديم السبل الكفيلة في معالجة هذا الداء . فالاستراتيجية القابلة للتنفيذ تتمثل باعتماد سياسة وطنية للدولة العراقية تقوم على معالجة هجرة الكفاءات واستقطابها ، واول خطوات هذه الاستراتيجية تقوم بتوفير البيئة الجاذبة للكفاءات من خلال : (التميمي ، 2008: 6-5)

- توفير الأمن والاستقرار والتخلص من المحاصصة السياسية والطائفية مما له انعكاسات سلبية على الوضع الأمني .
- الرفض المطلق لأسلوب العنف في العلاقات السياسية واعتماد اسلوب الحوار الديمقراطي .
- استخدام قانون لحماية الكفاءات بالتنسيق مع الجهات الأمنية .
- تعزيز الديمقراطية واحترام حقوق الانسان وتكريس الحريات الفردية والجماعية ، وبناء اقتصاد قادر على خلق فرص عمل والتصدي لمظاهر الفقر والتهميش .
- الحفاظ على الكفاءات الموجودة داخل العراق والعمل على جعل البلد جاذب للكفاءات وليس طاردا لها من خلال وضع الشخص المناسب في المكان المناسب اعتمادا على الكفاءة .
- تشجيع البحث العلمي الانتاجي وتحفيز القطاع الخاص في دعم هذه البحوث ، بعد ان يثبت الباحثين عن قدرتهم على حل المشاكل التي تواجههم في كيفية تطوير الإنتاج وتحسين نوعيته وزيادة القدرة التنافسية وفاعليته في المشاركة بعملية التنمية.

والخلاصة يمكن القول بان الحدّ من الآثار السلبيّة لهجرة الكفاءات يتمثل في وضع سياسات تشجيعيّة للكفاءات ، ومحاولة تسخير خبراتهم ومهاراتهم لصالح البلد ، إذ يحتاج البلد إلى تضافر كافّة الجهود المحليّة وتعاون المؤسسات الحكومية وغير الحكوميّة . لاستقطاب الكفاءات وتوفير فرص اقتصاديّة حيويّة وبيئة سياسية مريحة وآمنة، ومساحة اجتماعيّة حيويّة تُعزّز ثقة الكفاءات بمستقبل البلد.

التوصيات :

1. ضرورة معالجة الوضع الأمني المتدهور في البلاد ، واعتماد سياسة أمنية جادة ، وتوفير الأمن ومعالجة عدم الاستقرار ، حيث إن أي تأخير قد يؤدي إلى عدم الرضا واليأس بين السكان ، وخاصة بين الشباب .
2. . إعادة كتابة الدستور الوطني لمعالجة الثغرات التي أدت إلى العديد من المشاكل في العراق ، بما في ذلك إزالة المحاصصة الطائفية والوطنية ، والاعتماد على القدرة على شغل مناصب مدنية أو عسكرية في البلاد ،

وبالتالي خلق مجتمع مدني من خلال خلق حكومة وطنية يشعر فيها جميع المواطنين بالمساواة وتحمي وتهتم بالجميع وتطبق القوانين والقرارات المتعلقة بالحياة المدنية دون تمييز.

3. جذب المواهب ، وتشجيعهم على إنشاء شركات التكنولوجيا المتقدمة في البلاد ، وتقديم الدعم المالي لبدء العمل بشركات التكنولوجيا الناجحة. والاستفادة من تجارب بعض الدول الآسيوية بما في ذلك "تايوان وسنغافورة" الناجحة ، حيث قادت سوق جنوب شرق آسيا والصين بعقول الأشخاص وبسواعدهم الذين يعيشون في الدول الغربية المتقدمة. لذلك من الضروري معالجة تدهور الوضع الاقتصادي في البلاد ، والذي يعتمد بشكل أساسي على الصادرات النفطية ، واعتماد سياسات اقتصادية تؤدي إلى تنويع مصادر الدخل في الدولة ، والتخلص من طبيعة الاقتصاد الريعية ، وتطوير القطاعات الاقتصادية الأساسية مثل الزراعة والصناعة ورفع مساهمتها في تكوين الناتج المحلي ، وتوفير فرص العمل للعاطلين عن طريق القضاء على آفة الفساد المالي والإداري في البلاد.

4. ضرورة محاولة فتح أفاق للمواهب العراقية وتعيينهم في مؤسسات الدولة المختلفة على أساس القدرة والخبرة وليس على أساس المحسوبية والقرابة ، حيث أن معظم الأسباب الحالية لهجرة المواهب عدم الاستفادة من قدراتهم وضعف مشاركتهم في إدارة الدولة، خاصة وان العراق بحاجة الى خدماتهم في الداخل.

المصادر : References

1. الشفيع ، ابراهيم صافي النور ، أسماعيل ، احمد مكي ، " هجرة الكفاءات واثرها على التنمية الاقتصادية والاجتماعية في السودان 2004 – 2012 " رسالة ماجستير في الاقتصاد مقدمة الى جامعة النيلين – كلية الدراسات العليا ، 2013 .
2. ال زيارة،كمال عبد حامد سعد خضير عباس الرهيمي , "مساهمة في موضوع هجرة الكفاءات من الدول النامية مع إشارة خاصة لحملة الشهادات العليا في العراق (بحث نظري–تطبيقي) Ahl Al-Bait Jurnal 1.8 (2009) ".
3. مكتب العمل الدولي ، منظمة الامم المتحدة ، 1989.
4. زعرور ،توفيق ، 1981، محددات ونتائج هجرة الكفاءات في الوطن العربي ، المجلة العربية للإدارة ، المجلد الخامس .، العدد الاول والثاني ، بغداد.
5. تقرير منظمة العمل العربية لعام 2009 .
6. محمد عبد العليم مرسي ، هجرة العلماء في العالم الاسلامي ، دار عالم الكتاب ، الرياض ، 1991.
7. الجابري، ستار جبار، "هجرة الكفاءات العراقية الأسباب والمعالجات ".مجلة دراسات دولية :(2017) 68 1-16.
8. العسكري ، كفاح يحيى صالح , and ابراهيم عبد الخالق رؤوف. "دراسة ظاهرة هجرة العقول... اسبابها... علاجها من وجهة نظر التدريسيين والتدريسيات في كلية التربية–الجامعة المستنصرية "Journal of College . of Education 2 (2007).
9. تقرير منظمة العمل العربية لعام 2006 .
10. حسين ، عمر اسماعيل ، " هجرة الكفاءات العراقية واثرها على الاقتصاد الوطني 1990– 2009 ، وزارة المالية ، قسم العلاقات الدولية ، 2013.
11. التميمي ، حسناء ناصر ابراهيم. "استراتيجية تعزيز قدرات الكفاءات العلمية في العراق وسبل المحافظة عليها.(2008) Journal of Baghdad College of Economic sciences University 16 ".